كتاب

تهذيب الاخلاق

للعلامة

ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ

عني بنشره السيد

محمد كرد علي

رئيس المجمع العلمي العربي

نشر اولاً في السنة الرابعة

من مجلة المجمع العلمي

طبع بمطبعة البطريركية الارثوذكسية في دمشق : سنة ٤٣

كتاب
تهذيب الاخلاق

للجاحظ

كلمات للناشر

وضع ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المتوفى سنة ٢٥٥هـ زهاء مئة وستة وعشرين مصنفاً في اغراض مختلفة ، منها المجلد والمجلدان ومنها الاربع فاكثر ، وكلها على غرار واحد بجلال اسلوبها وجمال تركيبها

وقد اجمع العارفون ان الموضوع الذي يبرزه الجاحظ في بضع ورقات مقبولة ، غير مملولة ، يصعب على غيره ان يبلغ الغرض فيه في مجلدة . ولا عجب فهو امام المتكلمين ، ونابغة المجودين من المؤلفين ، ومفخر العرب والمستعربين .

ومع شدة الحاجة الى احياء تركة الجاحظ لم يطبع حتى الآن من مصنفاته سوى «البيان والتبيين» في مجلدين و «كتاب الحيوان» في سبعة و «البخلاء» في مجلد و «المحاسن والاضداد» في مجلد . ومن الرسائل «الحاسد والمحسود» و «تفضيل النطق على الصمت» و «مدح التجار وذم عمل السلطان» و «العشق والنساء» و «الوكلاء» و [illegible] و «طبقات المغنين» و «مناقب الترك وعامة جند الخلافة» و «فخر السودان على البيضان» و «التربيع والتدوير» و «سلوة الخريف في المناظرة بين الربيع والخريف» .

ومن هذه الكتب والرسائل البخلاء والمحاسن ومناقب الترك [illegible] السودان

والتربيع ما نشره الاستاذ فان فلوتن Van Vloten في ليدن من عمل هولاندة ونشر له رسالة اخرى طبعها في اعمال مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي عشر ، ونشر مؤخراً العلاّمة احمد زكي باشا في مصر كتاب «التاج» في مجلد قائلاً انه كتاب اخلاق الملوك للجاحظ وان لم ترد صراحة في النسخة الاصلية تؤيد قوله

وقد اسعدني الحظ مؤخراً بالعثور في جملة المخطوطات التي دخلت خزانة المجمع العلمي العربي في دمشق على مجموع لطيف من قطع الربع فيه عدة رسائل ، الاولى كتاب الشهاب في المواعظ والآداب للقاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ، والثانية في الفاظ رويت عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، والثالثة في الحديث ، والرابعة «كتاب تهذيب الاخلاق» للجاحظ وهو الذي اغتبط اليوم بنشره .

ولقد كتب كتاب تهذيب الاخلاق بخط جميل يخالف خط الرسائل الثلاث الاولى جاء في آخره (وكان الفراغ من تنميقه ، بحمد الله تعالى وتوفيقه ، على يد العبد الضعيف ، فقير رحمة ربه ، واسير وصمة ذنبه ، يوسف معتوق الخواجا تاج الدين البعلبكي غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، وشفاه من ذنوب العيوب ، ، سقاه من ذنوب الغيوب ، بمنه ويمنه ، وحلمه وكرمه ، في اواخر جمادى الآخرة من شهور سنة ١٠٤٧) والرسالة قليل تحريفها تغلب عليها الصحة وفي كل صفحة منها ١٤ سطراً وفي كل سطر نحو ١٠ كلمات

خلت جريدة كتب الجاحظ من رسالة اسمها تهذيب الاخلاق بل جاء فيها كتابان بهذا المعنى الاول (اخلاق الملوك) والثاني (كتاب السلطان واخلاق اهله) وكلا الاسمين ينطبقان على موضوع كتابنا اكثر من انطباقهما على كتاب التاج الذي نشره صديقي احمد زكي باشا ، ولا بد ان ينظر الباحثون من العلماء في تحقيق اسم كتاب تهذيب الاخلاق تحقيقاً مشفوعاً باستقراء النصوص لا بالاستنتاج فقط وان يبينوا عين الصواب في تسمية كتاب التاج الذي خلت كتب مؤلفنا المعظم من سفر له بهذا العنوان

وحري بكتاب تهذيب الاخلاق بما فيه من الكلام الطيب ان يتصفحه بل يدرسه العالم والمتعلم والمعلم ، فقد حوى من ضروب التعليم والارشاد ، ما لا يستغني عنه ارباب

الطبقات المختلفة في المجتمع الانساني على وجه الايام ، وتجلت فيه روح البيان الفائق ، فكان جديراً بطالب ادب العرب ، ان يستظهره ويتدبره . واسلوب الجاحظ خير اسلوب يحتذى في مؤلفي الدواوين ، وائمة البلغاء المترسلين ، وانت اذا تلوت كتاب تهذيب الاخلاق وكررت تلاوته واطلت مراجعته لا ترى فيه قضية تخالف ما قرره علماء الاخلاق في دهرنا ، على بعد ما بيننا وبين عصر المؤلف . فكأن الجاحظ بسفره هذا عالم من اكبر الاختصاصيين في علم النفس والاخلاق في الغرب ، يكتب لعهدنا مختصراً ممتعاً في فنه فيجيده حتى لم يبق بعد قوله مجالاً لقائل . ولا عجب فكتب الجاحظ كما قال ابن العميد تعلم العقل اولاً والادب ثانياً والناس كلهم عيال عليه في البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة

اسأل الله ان ينفع قراء العربية بما خطته يراعة الجاحظ ويوفق الباحثين ان يخرجوا لهم ما ظل مطوياً حتى يوم الناس هذا من آثار قريحته بمنه ويمنه

دمشق : ٣٠ رمضان ١٣٤٢ و ٢٤ نيسان ١٩٢٤

محمد كرد علي

كتاب تهذيب الاخلاق

للعلاّمة الجاحظ تغمده الله برحمته بمحمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

اعلم ان الانسان ، من بين سائر الحيوان ، ذو فكر وتمييز ، وهو ابداً يحب من الامور افضلها ، ومن المراتب أشرفها ، ومن المقتنيات أنفسها ، اذا لم يعدِل عن التمييز في اختياره ، ولم يغلبه هواه في اتباع اغراضه .

وأولى ما اختاره الانسان لنفسه ، ولم يقف دون بلوغ غايته (١) ولم يرضَ بالتقصير عن نهاية تمامه وكماله ، ومن تمام الانسان وكماله ، ان يكون مرتاضاً بمكارم الاخلاق ومحاسنها ، ومتنزهاً عن مساويها ومقابحها ، آخذاً في جميع احواله مابين (٢) الفضائل ، عادلاً في كل افعاله عن طرق الرذائل .

واذا كان ذلك كذلك ، كان واجباً على الانسان ان يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعايب ، ويصرف همته الى اقتناء كل كل خيم (٣) كريم خالص من الشوائب ، وان يبذل جهده في اجتناب كل خصلةٍ مكروهة رديئة ، ويستفرغ وسعه في اطراح كل خلة مذمومة دنيئة ، حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ، ويكتسي حلل الجمال بدماثة

(١) في الاصل [illegible] (٢) كذا ولعل صوابه بابين اي قوانين وهي كلمة فارسية
(٣) [illegible] التميز [illegible]

شمائله . ويباهي بحق اهل السؤدد والمجد ، ويلحق بالذرى من درجات النباهة والمجد

الا ان المبتدئ بطلب هذه المرتبة ، والراغب في بلوغ هذه المنزلة ، ربما خفيت عليه الخلال المستحسنة التي يعنيه تحرّيها ، ولم تتميز له من المستقبحة التي غرضه توقيها .

فمن اجل ذلك وجب ان نقول في الاخلاق قولاً نبين فيه ما الخُلُق وما علّته ، وكم انواعه واقسامه ، وما المرضي منها ، المغبوط صاحبه ، والمتخلّق به ، وما المستثنى منها ، الممقوت فاعله ، والمتوسم به ، ليسترشد بذلك من كانت له همة سنية ، تسمو الى مباراة اهل الفضل ، ونفس ابية تنبو عن مساواة اهل الدناءة والنقص .

وندل (١) ايضاً على طريق الارتياض بالمحمود من انواعه والتدرب به ، وتنكب المذموم منها وتجنبه ، حتى يصير للمرتاض به ديدناً وعادة وسجية وطبعاً ، ليهتدي به من نشأ (٢) على الاخلاق السيئة وألفها ، وجرى على العادة الرديئة وأنس بها .

ونصف ايضاً الانسان التام المهذب الاخلاق ، المحيط بجميع المناقب الخُلقية ، وطريقته التي يصل بها الى التمام ، ويحفظ عليه الكمال ، ليشتاق الى صورته ، من تشوّف الى الرتبة العليا ، وحنّ الى استعمال سيرته ، ومن استشرف الغاية القصوى .

(١) في الاصل ويدل (٢) ص ينشا

وقد ينتبه ايضاً بما نذكره ، من كانت له عيوب قد اشتبهت عليه ، وهو مع ذلك يظن انه في غاية الكمال ، فان من هذه حاله ، اذا تكرر عليه ذكر الاخلاق المكروهة ، تيقظ لما فيه من ذلك ، وأنف منه ، واجتهد في تركه والتنزه عنه

وكذلك اذا تصفح الاخلاق المحمودة من كان جامعاً لاكثرها ، عادماً لبعضها ، قَرِم (١) الى التخلق بذلك البعض الذي هو عادم له ، وتاقت نفسه الى الاحاطة بجميعها ، وقد ينتفع بما نذكره ايضاً من كان في غاية الكمال والتمام ، فان المهذّب الاخلاق ، الكامل الآلات ، الجامع المحاسن ، اذا مرّ بسمعه ذكر الخلائق الجميلة ، والمناقب النفيسة ، ورأى ان تلك هي عادته وسجاياه ، كانت له بذلك لذة عجيبة ، وفرحة مبهجة ، كما ان الممدوح يسر اذا ذكر المادح محاسنه ، ونشر فضائله ·

وايضاً فانه اذا وجد اخلاقه مدونة في الكتب ، موصوفة بالحسن ، كان ذلك داعياً الى الاستمرار على سيرته ، والاصرار على طريقته ·

وهذا حين بدئنا بذكر الاخلاق فنقول :

ان الخُلق هو حال النفس ، بها يفعل الانسان افعاله بلا روية ولا اختيار ، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون الاّ بالرياضة والاجتهاد ، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمّل ، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من

(١) القرم محركة شدة شهوة اللحم وكثر حتى قيل في الشوق الى كل شيء

الاخلاق المحمودة .

وكثير من الناس يوجد فيهم ذلك ، فمنهم من يصير اليه بالرياضة ، ومنهم من يبقى على عادته ، ويجري على سيرته ،

فاما الاخلاق المذمومة ، فانها موجودة في كثير من الناس كالبخل والجبن والظلم والتشرر ، فان هذه العادات غالبة على اكثر الناس ، مالكة لهم بل قلما يوجد في الناس من يخلو من خلق مكروه ، ويسلم من جميع العيوب ، ولكنهم يتفاضلون في ذلك .

وكذلك في الاخلاق المحمودة ، قد يختلف الناس ويتفاضلون ، الا ان المجبولين على الاخلاق الجميلة قليلون جداً والمبغضون لها (؟)

فاما المجبولون على الاخلاق السيئة ، فاكثر الناس لانّ الغالب على طبيعة الانسان الشر ، وذلك ان الانسان اذا استرسل مع طبعه ، ولم يستعمل الفكر ولا التمييز ، ولا الحياء ولا التحفظ ، كان الغالب عليه اخلاق البهائم ، لان الانسان انما يتميز عن البهائم ، بالفكر والتمييز ، فاذا لم يستعملهما كان مشاركاً للبهائم في عاداتها ، والشهوات مستولية عليه ، والحياء ذاهب عنه ، والغضب يستفزه . والسكينة غير حاضرة له ، والحرص والاستشفاد ديدنه ، والشره لا يفارقه .

فالناس مطبوعون على الاخلاق الرديئة ، منقادون للشهوات الدنية ، وكذلك وقع الافتقار الى الشرائع والسنن ، والسياسات المحمودة ، وعظم الانتفاع بالملوك الحسني السيرة ، ليردعوا الظالم عن ظلمه ، ويمنعوا الغاصب

عن غضبه ، ويُعاقبوا الفاجر على فجوره ، ويقمعوا الجائر حتى يعود الى الاعتدال في جميع اموره ·

فالاخلاق المكروهة في طباع الناس ، الا ان فيهم من يتظاهر بها ، وينقاد لها · وهم شرار الناس ، وفيهم من ينبه بجودة الفكر ، وقوة التمييز ، على قبحها ، فيأنف منها ، ويتصنع لاجتنابها ، وذلك يكون عن طبع كريم ، ونفس شريفة

وفيهم من لا ينتبه لذلك ، الا انه اذا نُبه عليه احس بقبحه ، فربما حمد نفسه على تركه

وفيهم من اذا نُبه لما فيه من النقائص · او نبّه عليها · ورام العدول عنها · تعذر عليه ذلك · ولم يطاوعه طبعه · وان كان مؤثراً للعدول عنها مجتهداً في ذلك

وهذه الطائفة تحتاج ان تُرشد الى طريق التدرب والتعمل للعادات المحمودة · حتى تصير اليها على التدريج

ومن الناس من ينتبه على (١) الاخلاق الرديئة · او ينبه عليها · فلا يحن الى تجنبها · ولا تسمح نفسه لمفارقتها · بل يؤثر الاصرار عليها · مع علمه برداءتها وقبحها

وهذه الطائفة ليس الى تهذيبها طريق الا بالقهر والتخويف والعقوبة

(١) لعله ينتبه الى

انْ لم يردعها الترهيب

فامّا الأخلاق المحمودة . فانها وان كانت في بعض الناس غريزة . فليست في جميعهم . وان الباقين قد يمكن ان يصيروا اليها بالتدرب والرياضة ويترقوا اليها بالاعتياد والإلف ومع هذه الحال فقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة . ولا الخلق الجميل وذلك يكون لرداءة جوهره . وخبث عنصره

وهذه الطائفة من جملة الاشرار الذين لا يرجى صلاحهم . وكثير من الناس من يقبل كثيراً من الاخلاق المحمودة وينبو طبعه عن بعضها . وليس يعد هذا شريراً . ولكن رتبته في الخير بحسب محاسنه

فامّا العلّةُ الموجبة لاختلاف الاخلاق . فهي النفس . وللنفس ثلث قوىً . وهي تسمّى ايضاً نفوساً

وهي النفس الشهوانية , والنفس الغضبية , والنفس الناطقة وجميع الاخلاق تصدر عن هذه القوى .

فمنها ما يختص باحداهن . ومنها ما تشترك فيه قوتان . ومنها ما تشترك فيه القوى الثلث . ومن هذه القوى ما يكون للانسان وغيره من الحيوان . ومنها ما يختص به الانسان فقط

امّا النفس الشهوانيّة فهي للانسان ولسائر الحيوان . وهي التي يكون بها جميع اللذات . والشهوات الجسمانية . كالقرم الى المآكل والمشارب والمباضعة . وهذه النفس قويةٌ جداً متى لم يقهرها الانسان ويؤدبها ملكته

واستولت عليه . فاذا استولت عليه . عسر تهذيبها . وصعب قمعها وتذليلها .

فاذا تمكنت هذه النفس من الانسان وملكته . وانقاد لها كان بالبهائم اشبه منه بالناس . لان اغراضه ومطلوباته وهمته تصير ابداً مصروفة الى الشهوات واللذات فقط . وهذه هي عادة البهائم

ومن يكون بهذه الصفة يقلّ حياؤه . ويكثر خرقه . ويستوحش من اهل الفضل . ويميل الى الخلوات . وينقبض عن المجالس الحَفْلة . ويبغض اهل العلم . ويشنأ اهل الورع والنسك . ويود اصحاب الفجور . ويستحب الفواحش . ويكثر ذكرها ويلذّ استماعها . ويسر بمعاشرة السخفاء . ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو . وقد يصير من هذه حاله الى الفجور . وارتكاب الفواحش . والتعرض للمحظورات . وربما دعته محبة اللذات الى اكتساب الاموال من اقبح وجوهها . وربما حملته نفسه على الغصب والتلصص والخيانة . واخذ ما ليس له بحق . فان اللذات لا تتم الاّ بالاموال والاعراض . فمحب اللذة اذا تعذرت عليه الاموال من وجوهها . جسّرته شهوته على اكتسابها من غير وجوهها

ومن تنتهي به شهواته الى هذا الحدّ . فهو اسوأ الناس حالاً . وهو من الاشرار الذين يخاف خبثهم . ويستوحش منهم . ويستروح الى البعد عنهم . ويصير واجباً على متولّي السياسات تقويمهم . وتأديبهم . وابعادهم ونفيهم . حتى لا يختلطوا بالناس . فان في اختلاط من هذه

صفته بالناس · مضرة لهم · وخاصّة لأحداثهم · فانّ الحدث سريع الانطباع · ونفسه مجبولة على الميل الى الشهوات · فاذا شاهد غيره مرتكباً لها · مستحسناً للانهماك فيها · مال هو ايضاً الى الاقتداء به والى مساعدة لذته

واما من ملك نفسه الشهوانيّة وقهرها · كان ضابطاً لنفسه · عفيفاً في شهواته · محتشماً من الفواحش متوقياً من المحظورات · محمود الطريقة في جميع ما يتعلق باللذات

فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم · وعفة بعضهم · وفجور بعضهم · هو اختلاف احوال النفس الشهوانية · فانها اذا كانت مهذبة موءدبة · كان صاحبها عفيفاً · ضابطاً لنفسه · واذا كانت مهملة مرسلة · مالكة لصاحبها كان صاحبها فاجراً شريراً · واذا كانت متوسطة الحال كانت رتبة صاحبها في العفة كرتبتها في التأدب ·

فمن اجل ذلك وجب ان يوءدب الانسان نفسه الشهوانية ويهذبها حتى تصير منقادة له ويكون هو مالكها فيستعملها في حاجاته التي لا غنى عنها ويكفها عما لا حاجة به اليه من الشهوات الرديئة واللذات الفاحشة

فاما النفس الغضبيّة فيشترك فيها ايضاً الانسان وسائر الحيوان وهي التي بها يكون الغضب والجرأة ومحبة الغلبة

وهذه النفس اقوى من النفس الشهوانية واضرّ لصاحبها اذا ملكته وانقاد لها فان الانسان اذا انقاد للنفس الغضبية كثر غضبه وظهر خرقه واشتد حقده وعدم حلمه ووقاره وقويت جرأته وتسرع عند الغضب الى الانتقام

والايقاع بمغضبه والوثوب بخصومه فاسرف في العقوبة وزاد في التشفّي فاكثر السبّ والفحش فيه

فاذا استمرت هذه العادات بالانسان كان بالسباع اشبهَ منهُ بالناس وربما حمل قوماً على حمل السلاح وربما اقدموا على القتل والجراح وربما وثبوا بالسلاح على اخوانهم واوليائهم وعبيدهم وخدَمهم عند الغضب من اليسير من الامور وربما غضب من هذه حاله ولم يقدر على الانتقام من خصمهِ فيعود بالضرر والسبّ والألم على نفسهِ : فمنهمُ من يلطم وجهه وينتف لحيته ويعض يده ويسبُّ نفسه ويذكر عرضه

وايضاً فانّ من تملكه النفس الغضبية يكون محبّاً للغلبة متوثباً على مَن آذاه مقدماً على كل من ناوأه طالباً للتروٴس من غير وجههِ فاذا لم يتمكن من الرئاسة من وجهها توصل اليها بالحيل الخبيثة فاستعمل كل ما يمكنهُ من الشر

وهذه الافعال تورّط صاحبها وتوقعهُ في المهاوي والمهالك فان من وثب على الناس وثبوا عليهِ ومن خاصمهم خاصموه ومن أقدم عليهم أقدموا عليهِ ومن تشرر عليهم قصدوه بالشر . وربما سفه الانسان على خصمهِ وكان الخصم أسفه منه فان ناله بسوءٍ قابله ذلك باكثر منهُ

وقد يغلب على من هذه حاله الحسد والخفة والقحة واللّجاج والجور وقد تحمل هوٴلاء محبة الغلبة وطلب الرئاسة على اكتساب الاموال من غير وجهها واخذها بالغصب والغلبة والظلم وربما قتلوا على محبة الغلبة من يناوئهم وربما فعلوا ذلك من غير رويّةٍ فيوٴول الامر بهم الى

البوار والاستئصال

فأمّا مَنْ ساس نفسه الغضبية وأدبها وقمعها كان حليماً وقوراً عادلاً محمود الطريقة فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في غضبهم وخرقهم وحلمهم وسفاهة بعضٍ هو اختلاف احوال النفس الغضبية: اذا كانت مذللة مقهورة كان صاحبها حليماً وقوراً واذا كانت مهملة مستولية على صاحبها كان صاحبها غضوباً سفيهاً ظلوماً غشوماً واذا كانت متوسطة الحال كان صاحبها متوسط الحال رتبتهُ في الحلم كرتبة نفسه الغضبية في التأدب

فمن اجل ذلك وجب ان يروض الانسان نفسه الغضبية حتى تنقاد له فيملكها ويستعملها في المواضع التي يجب استعمالها فيها فان لهذه النفس ايضاً فضائل محمودةً وذلك ان الانفة من الامور الدنيئة ومحبة الرئاسة الحقيقية وطلب المراتب العالية من الاخلاق المحمودة وهي من افعال النفس الغضبية فاذا ملك الانسان هذه النفس بالتأدب والتهذيب واستعملها في الامور الجميلة وكفها عن الافعال المكروهة كان حسن الحال محمود الطريقة

وامّا النفسُ الناطقة وهي التي بها يتميز الانسان من جميع الحيوان وهي التي بها يكون الفكر والذكر والتمييز والفهم وهي التي بها شرف الانسان وعظمت همتهُ فأعجب بنفسه وهي التي بها تستحسن المحاسن وتستقبح القبائح وبها يمكن الانسان ان يهذب قوتيه الأُخريين وهما الشهوانية والغضبية ويضبطهما ويكفُّهما وبها يفكر في عواقب الامور فيبادر باستدراكها من اولها .

ولهذه النفسُ ايضاً فضائل ورذائل

امّا فضائلها فاكتسابُ العلوم والآداب وكفُّ صاحبها عن الرذائل والفواحش وقهر النفسين الاخريين وتأديبهما وسياسة صاحبها في معاشهِ ومكسبهِ ومروءتهِ وتجملهِ وحث صاحبها على فعل الخير والتودد والرقة وسلامة النية والحلم والحياء والنسك والعفة وطلب الرئاسة من الوجوه الجميلة

واما رذائلها فالخُبْث والحيلة والخديعة والملق والمكر والحسد والتشرر والرياء وهذه النفس هي لجميع الناس الا ان منهم من تغلب عليه فضائلها فيستحسنها ويستعملها ومنهم من تغلب عليهِ رذائلها فيألفها ويستمر عليها ومنهم من تجتمع فيه بعض الفضائل وبعض الرذائل . وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجية وطبعاً لا بتكلف

فامّا المطبوعُ على العادات الجميلة منها فتكون لقوة نفسهِ الناطقة وشرف عنصره

واما المطبوعُ على العادات المكروهة فلضعف نفسه الناطقة وسوء جوهره

واما الذي تجتمع فيهِ فضائل ورذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال

وقد يكتسب اكثر الناس هذه العادات وجميع الاخلاق جميلها وقبيحها اكتساباً وذلك يكون بحسب منشإ الانسان واخلاق من يحيط بهِ ويشاهده ويقرب منه وبحسب رؤساء وقتهِ ومن يشار اليهِ بالنباهة ويغبط على رتبته فان الحدث والناشيء يكتسب الاخلاق ممن يكثر ملابسته

ومخالطته ومن ابويه واهله وعشيرته

فاذا كان هؤلاء سيئي الاخلاق مذمومي الطريقة كان الحدث والناشئ بينهم ايضاً سيء الاخلاق مكروه العادات واذا لحظ الحدث ايضاً اهل الرئاسة ومن فوقه وغبطهم على مراتبهم آثر التشبه بهم والتخلق باخلاقهم

فان كانوا مهذبي الاخلاق حسني السيرة كان المتشبه بهم حسن الاخلاق مرضيّ الطريقة وان كانوا اشراراً جهالاً كان الضابط لهم والسالك طريقهم شريراً جاهلاً

وهذه الحال هي اخلاق اكثر الناس فان الجهل والشرّ والخبث والشرّه والحسد غالب عليهم والناس بالطبع يقتدي بعضهم ببعض ويحتذي التابع ابداً سيرة المتبوع واذ كان الغالب عليهم الشر والجهل كان واجباً ان يقتدي احداثهم واولادهم وتبّاعهم بهم

فالعلّةُ الموجبة لاختلاف اخلاق الناس في سياساتهم وفضائلهم وغلبة الخير والشر عليهم هي اختلاف قوة النفس الناطقة فيهم: اذا كانت خيرة عاقلة فاضلة قاهرة للنفسين الباقيتين كان صاحبها خيرا عادلاً حسن السيرة واذا كانت شريرة خبيثة مهملة للنفسين الاخريين كان صاحبها شريرا خبيثاً جاهلاً

فمن اجل ذلك وجب ان يُعمل الانسان فكره ويميز اخلاقه ويختار منها ما كان مستحسناً جميلاً وينفي منها ما كان مستنكراً قبيحاً ويعمل نفسه

على التشبه بالاخيار ويتجنب كل التجنب عادات الاشرار فانهُ اذا فعل ذلك صار بالانسانية متحققاً والرئاسة الذاتية مستحقاً

فأمّا انواع الأخلاق وأقسامُها وما المستحسن منها وما المستحب اعتياده ويعد فضائل وما المستقبح منها المكروه ويعد نقائص ومعايب فهي الانواع التي نحن واصفوها

امّا التي تعدّ فضائل فان منها العفة وهي ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط واجتناب السرف والتقصير في جميع اللذات وقصد الاعتدال وان يكون ما يقتصر عليهِ من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائهِ وفي اوقات الحاجة التي لا غنى عنها وعلى القدر الذي لا يحتاج الى اكثر منه ولا يحرس النفس والقوة اقلّ منه وهذه الحال هي غاية العفة

ومنها القناعةُ وهي الاختصار على ما سنح من العيش والرضا بما تسهل من المعاش وترك الحرص على اكتساب الاموال وطلب المراتب العالية مع الرغبة في جميع ذلك وإيثاره والميل اليه وقهر النفس على ذلك والتقنع باليسير منه

وهذا الخُلق مستحسن من اوساط الناس واصاغرهم فاما الملوك والعظماء فليس ذلك مستحسناً منهم ولا تعد القناعة من فضائلهم

ومنها التصوّن وهو التحفظ من التبذل فمن التصون التحفظ من

الهزل القبيح ومخالطة اهله وحضور مجالسه وضبط اللسان من الفحش وذكر الخنا والمزح والسخف وخاصة في المحافل ومجالس المحتشمين ولا أبهة لمن يسرف في المزح ويفحش فيه

ومن التصون ايضاً الانقباض من أدنياء الناس واصاغرهم ومصادقتهم ومجالستهم والتحرز من المعايش الزرية واكتساب الاموال من الوجوه الخسيسة والترفع عن مسألة الحاجات لئام الناس وسفلتهم والتواضع لمن لا قدر له والاقلال من البروز من غير حاجةٍ والتبذل بالجلوس في الاسواق وقوارع الطرق من غير اضطرار فان الاكثار من ذلك مخلق . واعظم الناس قدراً من ظهر اسمه وخفي شخصه

ومنها الحلم وهو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك وهذه الحال محمودة ما لم تؤد الى ثلم جاهٍ او فساد سياسةٍ وهي بالرؤساء والملوك احسن لانهم اقدر على الانتقام من مغضبيهم ولا يعد فضيلة حلم الصغير عن الكبير وان كان قادراً على مقابلته في الحال فانه وان امسك فانما يعد ذلك خوفاً لا حلماً

ومنها الوقار وهو الامساك عن فضول الكلام والعبث وكثرة الاشارة والحركة فيما يستغنى عن التحرك فيه وقلة الغضب والاصغاء عند الاستفهام والتوقف عن الجواب والتحفظ من التسرع والمبادرة في جميع الامور

ومن قبيل الوقار ايضاً الحياء وهو غض الطرف والانقباض عن الكلام

حشمة للمستحيا منه ، وهذه العادة محمودة ما لم تكن عن عيّ ، ولا عجز

ومنها الوُدّ وهو المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة ، والود مستحسن من الانسان اذا كان وده لأهل الفضل والنبل ، وذوي الوقار والأُبهة ، والمتميزين من الناس ، فاما التودد الى اراذل الناس واصاغرهم والاحداث والنسوان واهل الخلاعة فمكروه جداً . واحسن الود ما نسجته بين متوالين متناسبة الفضائل وهو اوثق الود واثبته ، فاما ما كان ابتداؤه اجتماعاً على هزل ، او لطلب لذةٍ ، فليس محموداً ، وليس بباقٍ ولا ثابت

ومنها الرحمةُ وهو خلق مركب من الود والجزع ! والرحمة لا تكون الاّ لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة ، إما نقيصة في نفسه واما محنة عارضة . فالرحمة هي محبة للمرحوم ، مع جزعٍ من الحال التي من اجلها رُحم

وهذه الحال مستحسنة ، ما لم تخرج بصاحبها عن العدل ، ولم تنته به الى الجور ، والى فساد السياسة ، فليس بمحمود ، رحمة القاتل عند القود ، والجاني عند القصاص .

ومنها الوفاء ، وهو الصبر على ما يبذله الانسان من نفسه ويرهن به لسانه ، والخروج مما يضمنه وان كان مجحفاً به ، فليس يُعدّ وفيّاً من لم تلحقه بوفائهِ اذية وان قلت ، وكلما اضرّ به الدخول تحت ما حكم بهِ على نفسهِ ، كان ابلغ في الوفاء

وهذا الخلق محمود ينتفع بهِ جميع الناس ، فان من عُرف بالوفاء ، كان مقبول القول في جميع ما يعد بهِ ، ومن كان مقبول القول ، كان عظيم

الجاه ، الا ان انتفاع الملوك بهذا الخلق اكثر ، وحاجتهم اليهِ اشد . وانه متى عُرف منهم قلة الوفاء ، لم يوثق بمواعيدهم ، ولم تتم اغراضهم ، ولم تسكن اليهم جندهم واعوانهم

ومنها اداء الامانة وهو التعفف عما يتصرف الانسان فيه من مال وغيره وما يوثق بهِ عليهِ من الاعراض والحرم مع القدرة عليه ، ورد ما يستودع الى مودعه .

ومنها كتمان السر : وهذا الخلق مركب من الوقار واداء الامانة فان اخراج السر من فضول الكلام ، وليس بوقور من تكلم بالفضول .

وايضاً فكما انهُ من استودع مالاً فاخرجه الى غير مودعهِ ، فقد خفر الامانة كذلك من استودع سراً فاخرجه الى غير صاحبه فقد خفر الامانة . وكتمان السر محمود من جميع الناس ، وخاصةً ممن يصحب السلطان ، فان اخراجه اسراره مع انه قبيح في نفسهِ يؤدي الى ضرر عظيم يدخل عليهِ من سلطانهِ .

ومنها التواضع وهو ترك الترؤس ، واظهار الخمول ، وكراهية التعظيم والزيادة في الاكرام ، وان يتجنب الانسان المباهاة بما فيهِ من الفضائل ، والمفاخرة بالجاه والمال ، وان يتحرز من الاعجاب والكبر ، وليس يكون التواضع الا في اكابر الناس ورؤسائهم واهل الفضل والعلم . واما سوى هؤلاء فليس يكونون متواضعين لان الضعة هي عادتهم ومرتبتهم فهم غير متصنعين لها .

ومنها البشر ، وهو اظهار السرور بما يلقاه الانسان من اخوانه واودائه واصحابه واوليائه ومعارفه ، والتبسم عند اللقاء ، وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس ، وهو من الملوك والعظماء احسن . وان البشر في الملوك تتألف به قلوب الرعية والاعوان والحاشية و يزداد به تحبباً اليهم وليس سعيداً من الملوك من كان مبغضاً الى رعيته ، وربما ادى ذلك الى فساد امره وزوال ملكه .

ومنها صدق اللهجة وهو الاخبار عن الشيء على ما هو به ، وهذا الخلق مستحسن ، ما لم يؤدِ الى ضرر مجحف ، فانه ليس بمستحسن صدق الانسان ان سأل عن فاحشة كان ارتكبها فانهُ لا يفي صدقه بما يلحقه في ذلك من العار والمنقصة الباقية اللازمة

وكذلك ليس يحسن صدقه متى سئل عن مستجير استجاره فاخفاه ، ولا ان سئل عن جنايته متى صدق عنها عوقب عليها عقوبة مؤلمة

والصدق مستحسن من جميع الناس وهو من الملوك والعظماء احسن ، بل لا يسعهم الكذب ما لم يعد الصدق عليهم بضرر .

ومنها سلامة النية وهو اعتقاد الخير لجميع الناس ، وتنكب الخبث والغيلة والمكر والخديعة

وهذا الخلق محمود من جميع الناس الا انه ليس يصلح للملوك التخلق به دائماً ولا يتم الملك الا باستعمال المكر والحيل ، والاغتيال مع الاعداء ولكن يحسن لهم استعماله مع اوليائهم واصفيائهم واهل طاعتهم

ومنها الحياء وهو بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق وهذا الفعل

مستحسن ما لم ينتهِ الى السرف والتبذير فان من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسمَّ سخياً بل يسمى مبذراً مضيعاً

والسخاءُ في سائر الناس فضيلة مستحسنة فاما في الملوك فامر واجب لان البخل يؤدي الى الضرر العظيم في ملكهم ، والسخاء والبذل يرتهن بهِ قلوب الرعية والجند والاعوان فيعظم الانتفاع بهِ

ومنها الشجاعة وهو الاقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة الى ذلك ، وثبات الجأش عند المخاوف ، والاستهانة بالموت

وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو بالملوك واعوانهم أَليق واحسن ، بل ليس بمستحق للملك من عدم هذه الخلة ، فاكثر الناس اخطاراً ، واحوجهم الى اقتحام الغمرات ، هم الملوك . فالشجاعة من اخلاقهم الخاصة بهم

ومنها المنافسة وهي منازعة النفس الى التشبه بالغير فيما يراه له وهو يرغب فيه لنفسه ، والاجتهاد في الترقي الى درجة اعلى من درجتهِ

وهذا الخلق محمود اذا كانت المنافسة في الفضائل ، والمراتب العالية وما يكسب مجداً وسؤْدداً فاما في غير ذلك من اتباع الشهوات ، والمباهاة باللذات ، والزينة والنزه فمكروه جداً

ومنها الصبرُ عند الشدائد وهذا الخلق مركب من الوقار والشجاعة ، ومستحسن جداً ما لم يكن الجزع نافعاً ، ولا الحزن والقلق مجدياً ، ولا الحيلة والاجتهاد دافعة سوْرة تلك الشدائد ، فما احسن الصبر اذا عدمت الحيلة ، وما اقبح الجزع اذا لم يكن مفيداً

ومنها عظمُ الهمّة وهو استصغار ما دون النهاية من معالي الامور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الانسان عند العطية، والاستخفاف باوساط الامور، وطلب الغايات، والتهاون بما يملكه، وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به

وهذا الخلق من اخلاق الملوك خاصة وقد يحسن بالرؤساء والعظماء ومن تسمو نفسه الى مراتبهم

ومن عظم الهمّة الانفة، والحمية، والغيرة . والأنفة هو نبوُّ النفس عن الامور الدنيئة . والحمية والغيرة جميعاً هما الغضب عند الاحساس بالنقص وانما تلحق الانسان الغيرة على الحرم لان في التعرض لهنّ عاراً ومنقصة . فان المتعرض للحرم مهتضم لصاحبهنّ في غير حق له، والاهتضام نقيصة

ومن عظم الهمة الأنفه من الاهتضام، ودخول النقص . وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس

ومنها العدل وهو القسط اللازم للاستواء وهو استعمال الامور في مواضعها واوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرفٍ ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير .

فأمّا الاخلاقُ الرديّة التي تعد نقائص ومعايب فانّ منها الفجور وهو الانهماك في الشهوات، والاستكثار منها، والتوفر على اللذات، والادمان عليها، وارتكاب الفواحش، والمجاهرة بها، وبالجملة السرف في جميع الشهوات . وهذا الخلق مكروه جداً يهدم الجاه و يذهب بماء الوجه ويخرق

حجاب الحشمة

ومنها الشره وهو الحرص على اكتساب الاموال وجمعها ، وطلبها من كل وجه ، وان قبح التعسف في اكتسابها ، والمكالبة عليها ، والاستكثار من القنية وادخار الأعراض

وهذا الخلق مكروه من جميع الناس ، الا من الملوك ، فان كثرة الاموال والذخائر والاعراض تعين على الملك ، وتزين الملوك ، وتزيدهم هيبة في نفوس رعيتهم واعوانهم واعدائهم واضدادهم .

ومنها التبذل وهو اطراح الحشمة ، وترك التحفظ والاكثار من الهزل واللهو ، ومخالطة السفهاء ، وحضور مجالس السخف والهزل والفواحش والتفوه بالخنا ، وذكر الاعراض ، والمزح والجلوس في الاسواق ، وعلى قوارع الطرق ، والتكسب بالمعايش الزرية ، والتواضع للسفلة

وهذا الخلق قبيح بجميع الناس

ومنها السفه وهو ضد الحلم ، وهو سرعة الغضب والطيش من يسير الامور ، والمبادرة في البطش ، والايقاع بالمؤذي ، والسرف والعقوبة ، واظهار الجزع من ادنى ضرر ، والسب الفاحش .

وهذا الخلق مستقبح من كل احد الا انه من الملوك والرؤساء اقبح .

ومنها الخرق وهو كثرة الكلام ، والتحرك من غير حاجة وشدة الضحك والمبادرة الى الامور من غير توقف ، وسرعة الجواب .

وهذا الخلق مستقبح من كل احد وهو باهل العلم وذوي النباهة اقبح .

ومن قبيل الخرق القحة وهو قلة الاحتشام لمن يجب احتشامه ، والمجاهر بالجوابات الفظة المستشنعة .

وهذا الخلق مكروه وخاصة بذوي الوقار .

ومنها العشق وهو افراط الحب والسرف فيه .

وهذا الخلق مكروه على جميع الاحوال ، الا ان اقبحه واشرهه ما كان مصروفاً الى طلب اللذة ، واتباع الشهوة الرديئة . وقد يحمل هذا الخلق صاحبه على الفجور ، وارتكاب الفواحش ، وكثرة التبذل ، وقلة الحياء ، ويكسبه عادات رديئة ، وهو بكل احد قبيح ، الا انه بالاحداث والمترفهين والمتنعمين اقل قبحاً .

ومنها القساوة وهو خلق مركب من البغض والشجاعة والقساوة وهو التهاون بما يلحق الغير من الألم والاذى .

وهذا الخلق مكروه من كل احد الا من الجند واصحاب السلاح والمتولين للحروب فان ذلك غير مكروه منهم اذا كان في موضعه .

ومنها الغدر وهو الرجوع عما يبذله الانسان من نفسه ويضمن الوفاء به .

وهذا الخلق مستقبح وان كان لصاحبه فيه مصلحة ومنفعة وهو بالملوك والرؤساء اقبح ولهم أضرّ فان من عُرف من الملوك بالغدر لم يسكن اليه احد ولم يثق به واذا لم يسكن اليه فسد نظام ملكه .

ومنها الخيانة وهو الاستبداد بما يؤتمن الانسان عليه من الاموال والاعراض والحرم وتملك ما يستودع . ومجاحدة مودعه

ومن الخيانة ايضاً طيّ الاخبار اذا ندب لتأديتها ، وتحريف الرسائل اذا تحملها وصرفها عن وجوهها ·

وهذا الخلق اعني الخيانة مكروه من جميع الناس يثلم الجاه ويقطع وجوه المعايش ·

ومنها افشاء السر وهذا الخلق مركب من الخرق والخيانة فانه ليس بوقور من لم يضبط لسانه ولم يتسع صدره لحفظ ما يستسر به ، ومن قبيل السر اخذ الودائع · وافشاؤه نقيصته على صاحبه فالمفشي للسر خائن ·

وهذا الخلق قبيح جداً وخاصة بمن يصحب السلاطين ويداخلهم ·

ومن قبيل افشاء السر النميمة وهو ان يبلغ انساناً عن آخر قولاً مكروهاً وهذا الخلق قبيح جداً وان لم يستسر ايضاً بما يسمعه او يبلغه فنقله الى من يكرهه قبيح لان في ذلك ايقاع وحشة بين المبلّغ والمبلَّغ وذلك غاية التشرر ·

ومنها الكبر وهو استعظام الانسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له ·

وهذا الخلق مكروه ضار لصاحبه لان من اعجبته نفسه لم يستزد من اكتساب الادب ومن لم يستزد بقي على نقصه فان الانسان ليس يخلو من النقص وقلما ينتهي الى غاية الكمال ·

وايضاً فان هذا الفعل يبغضه الى الناس ومن أبغضه الناس ساءت حاله

ومنها العبوس وهو التقطيب عند اللقاء وقلة التبسم واظهار الكراهية وهذا الخلق مركب من الكبر وغلظ الطبع فان قلة البشاشة هي استهانة بالناس والاستهانة بالناس تكون من الاعجاب والكبر وقلة التبسم وخاصة عند لقاء الاخوان تكون من غلظ الطبع . وهذا الخلق مستقبح وخاصة بالرؤساء والافاضل .

ومنها الكذب وهو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو به . وهذا الخلق مكروه ما لم يكن لدفع مضرة لا يمكن ان تُدفع الا به او اجترار نفع لا غنىً عنه ولا يوصل اليه الا به . فان الكذب عند ذلك ليس بمستقبح وانما يستقبح الكذب اذا كان عبثاً . والنفع يسير لا خطر له . لا يفي بقباحة الكذب . والكذب يقبح بالملوك والرؤساء اكثر . لان اليسير من النقص يشينهم .

ومنها الخبث وهو اضمار الشر للغير واظهار الخير له واستعمال الغيلة والمكر والخديعة في المعاملات .

وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا من الملوك والرؤساء فانهم اليه مضطرون واستعمالهم اياه مع اضدادهم واعدائهم غير مستقبح فأما مع اوليائهم واصحابهم فانه غير مستحسن .

ومن قبيل الخبث الحقد وهو اضمار الشر للجاني اذا لم يتمكن من الانتقام منه فأخفى ذلك الاعتقاد الى وقت امكان الفرصة .

وهذا الخلق من اخلاق الاشرار وهو مذموم جداً .

ومنها البخل. وهو منع المسترفد مع القدرة على رفده . وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا انه من النساء اقل كراهية ، بل قد يستحب من النساء البخل . فاما سائر الناس فان البخل يشينهم . وخاصة الملوك والعظماء فان البخل أبغض منهم اكثر مما أُبغض من الرعية والعوام ويقدح في ملكهم لانه يقطع الاطماع منهم ويبغّضهم الى رعيتهم .

ومنها الجبن وهو الجزع عند المخاوف والاحجام عما تُحذر عاقبته او لا تؤمن مغبته .

وهذا الخلق مكروه بجميع الناس الا انه للملوك والجند واصحاب الحروب أضر .

ومنها الحسد وهو التألم بما يراه الانسان لغيره من الخير وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له

وهذا الخلق مكروه وقبيح بكل احد

ومنها الجزع عند الشدة وهذا الخلق مركب من الخرق والجبن وهو قبيح اذا لم يكن مُجْدياً ولا مفيداً .

فاما إظهار الجزع لتحمّل حياة بذلك عند الوقوع في الشدة او استغاثة مغيث او اجتلاب مُعين فيما تقتضي فيه الحال فغير مكروه ولا يعد نقيصة .

ومنها صغر الهمة وهو ضعف النفس عن طلب المراتب العالية ، وقصور الامل عن بلوغ الغايات ، واستكثار اليسير من الفضائل واستعظام القليل من العطايا والاعتداد به والرضى بأوساط الامور واصاغرها .

وهذا الخلق قبيح بكل احد وهو بالملوك أقبح بل ليس بمستحق الملك من صغرت همته ·

ومنها الجور وهو الخروج عن الاعتدال في جميع الامور والسرف والتقصير واخذ الاموال من غير وجهها والمطالبة بما لا يجب من الحقوق الواجبة وفعل الاشياء في غير مواضعها ولا اوقاتها ولا على القدر الذي يجب لا على الوجه الذي يجب ·

ومن الاخلاق ما هو في بعض الناس فضيلة وفي بعضهم رذيلة ·

فمنها حب الكرامة وهو ان يسرّ الانسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمدح والثناء الجميل · وهذا الخلق محمود في الاحداث والصبيان لان محبته تحثهم على اكتساب الفضائل وذاك ان الحدث والصبي اذا مُدح على فضيلة تُرى فيه كان ذلك داعياً له الى الازدياد من الفضائل ·

فاما الافاضل من الناس فان ذلك يعدّ منهم نقيصة لان الانسان انما يمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربةً منهُ واذا كان من اهل الفضل فليس ينبغي ان يسر ولا يستغرب ما يظهر منه من الفضائل ·

وكذلك الاكرام والتبجيل ان كان زائداً على استحقاقه فانه يجري مجرى الملق والسرور بالملق غير محمود لانه من جنس الخديعة ·

ومنها حب الزينة وهو التصنع بحسن البزّة والمركوب والآلات وكثرة الخدم والحشم وهذا مستحسن من الملوك والعظماء والاحداث الظرفاء والمتنعمين والنساء

فاما الرهبان والزهاد والشيوخ واهل العلم وخاصة الخطباء والواعظين ورؤساء المدن فان الزينة والتصنّع مستقبح منهم . والمستحسن منهم لبس الشعر والخشن والمشي والحفا ولزوم المساجد وكراهية التنعم .

ومنها المجازاة على المدح وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل وهذا الخلق مستحسن من الملوك والرؤساء لان ذلك يدعو الذي يمدح الانسان الى مدحه ويكسب الممدوح ذكراً جميلاً يبقى على الدهر .

ومن فضائل الملوك والرؤساء بقاءُ ذكرِهم الجميل . فاما محبتهم سماع المدح من المادح مواجهة فذلك غير مستحب لانه من جنس الملق . وحب الملَق مكروه لانه من قبيل الخديعة .

فاما ايثارهم انتشار الذكر والمدح وتداول الناس له وبقاؤه بعدهم فان ذلك محمود منهم .

فمجازاة المادح مستحسنة من الملوك ومنعهم مستقبح وضار لأن ذلك يدعو الى ذمهم وذمهم يبقى ايضاً على الدهر فينشر لهم ذكراً قبيحاً وذلك مكروه للملوك والرؤساء .

فاما أصاغر الناس فمحبتهم جزاء المادح لهم غير مستحسن لأن المادح اذا مدح الدنيّ من الناس فانما يخدعه . واذا اجازه اعتقد انه استنفز (١) منه تلك الجائزة .

---

(١) كذا في الاصل ولعله مصحف استنقذ

وكثير من الناس اذا مُدحوا بما ليس فيهم فيبادرون الى مجازاة المادح فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه وهم اذا صرفوا ذلك الشيء الى الضعفاء واهل المسكنة كان اجمل بهم وأليق

ومنها الزهد وهو قلة الرغبة في الاموال والأعراض والادخار والقنية وإيثار القناعة بما يقيم الرمق ، والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراكب العالية واستصغار الملوك وممالكهم وارباب الاموال واموالهم ٠

وهذا الخلق مستحسن جداً ولكن من العلماء ورؤساء الدين والخطباء والواعظين ومن يرغّب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت

فاما الملوك والعظماء فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لائق بهم ، لان الملك اذا أظهر الزهد فقد صار ناقصاً لان ملكه لا يتم الاّ باحتشاد الاموال والأعراض وادخارها ليذبّ بها عن ملكه ويصون بها حوزته ويفتقد بها رعيته وذلك مضاد للزهد ٠ فإن ترك الادخار بكل ملكه صار معدوداً في جملة النقص من الملوك الحائدين عن طريق السياسة ٠

فهذه الاقسام التي ذكرناها هي اخلاق جميع الناس ٠

اما المحمودة منها المعدودة فضائل فقلما يجتمع كلها في انسان واحد

واما المذموم منها المعدود نقائص ومعايب فقلما يوجد انسان يخلو من جميعها حتى لا يكون فيه خلق مكروه وخاصة من لم يرض نفسه ويؤدبها فان من لم يتعمل لضبط نفسه ويفتقد عيوبه لم يخل من عيوب كثيرة

وان لم يحس بها ولم يفطن لها واذا كان الامر على ما ذكرنا كان اولى الامور بالانسان ان يفتقد اخلاقه ويتأمل عيوبه ويجتهد في اصلاحها ونفيها عن نفسه ويتبع الاخلاق الحسنة ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلق بها

فان الناس انما يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم لا كما يعتقد الجهال والعامة انهم يتفاضلون باحوالهم واموالهم وكثرة الذخائر والاعراض فان اكثر الناس انما يتفاخرون بالذخائر والاموال والآلات ويعظمون ابداً الاغنياء وذوي الاموال ولا يترتب بعضهم على بعض الا بكثرة الاموال أو الجاه المكتسب بالمال

وليس كثرة الاموال مما يتفاضل به الناس بل كثرة الاموال انما تتفاضل بها احوال الناس ·

فاما نفوسهم فليست تكون افضل من نفوس غيرهم بكثرة الاموال وذلك ان الفاجر السفيه الجاهل الشرير وان حوى اموالاً عظيمة فليس يكون افضل من العفيف الحكيم العالم الخيّر وان كان فقيراً بل انما يكون بكثرة الاموال اغنى منه

فاما الفضائل فليس يكون احد افضل من احد الا بكثرة الفضائل فقط فان اجتمع للانسان مع الفضائل الجليلة والعادات المستحسنة الغنى والثروة فلعمري انه يكون احسن حالاً من الفاضل المقتر لان من عادات الانسان ايضاً وخاصةً اذا كان فاضلاً عادلاً عفيفاً ان يصرف ماله في وجوهه وينفقه في حقه ويتفقد به من يجب تفقده ويسعف به اهل المسكنة ولا يقعد

عن حق يجب عليه ولا مكرمة تزيد في محاسنه

فاما الناقص الجاهل السيء العادات فان الغنى ربما زاده نقصاً واضاف الى معايبه . فانه لا يعد بخيلاً من لا مال له وان كان البخل في طبيعته فليس يظهر ذلك منه وما لم يظهر منه فليس يعاب به لان الانسان انما يعاب بما يظهر منه فاذا كان غنياً ذا مال ويسار ولم يجد به ظهر بخله فيصير المال جالباً عليه هذا العيب

وايضاً فان اكثر الفجور والمحظورات والشهوات الرديئة ليست تنال الا بالاموال

فالفقير وان كان في شيمته الفجور فليس يكاد يظهر ذلك منه فاذا كان ذا مال تمكن من شهواته فتظهر عيوبهُ .

فقد يكون الغنى مكسباً لصاحبه عيوباً ونقائص .

وقد يكون الفقر مفيداً صاحبه فضائل ومحاسن .

فليس يتفاضل الناس على الحقيقة بالاموال والاعراض ، وانما يتفاضلون بالآداب والمحاسن الذاتية .

فحقيق بالانسان ان يسوس نفسه السياسة المستحسنة ، ويسلك بها الطريقة المحبوبة ، فانه بذلك يكون محبباً الى الناس ، مقبولاً عندهم . معظماً في نفوسهم ، مفضلاً (على) غيره ، موقراً عند الرؤساء والملوك ، مقبول القول ، عريض الجاه .

وهذه خير من (١) الرئاسة المكتسبة بالاموال، لان المال قد تلحقه الجوائح، فاذا فارق صاحبه، سقطت منزلته من نفوس الناس، وساوى العامة والسوقة، لانه اذا رأس بالمال، فالمعظَّم له هو ماله لا نفسه، فاذا زال ذلك المال، لم يبق له شيء يعظم من اجله.

وليس كذلك الفاضل النفس، المهذب الاخلاق فان هذا رئاسته بفضائله، وفضائله غير مفارقة له فهو رئيس ما دام، ومعظم لذاته لا لشيء من الخارج

ولان الراغب في سياسة نفسه، المؤثر تهذيب اخلاقه. اذا نُبه على خلق مذموم يجده في نفسه، واحب اجتنابه، ربما صعب عليه الانتقال عنه من اول وهلة، وربما لم ينل التخلص منه، ولم يطاوعه طبعه

وربما استحسن ايضاً خلقاً محموداً لا يجده لنفسه، وآثر التخلق به ولم تستجب له عادته، ولم يصل الى مراده، فوجب ان نرسم للراغبين في السياسة المحمودة طرقاً يتدربون بها، ويتدرجون فيها، حتى ينتهوا الى مرادهم، من اعتياد (٢) الاخلاق الجميلة، والانطباع بها، وتجنب الاخلاق القبيحة، والتفرغ منها

فنذكر من اجل ذلك ما يرشد الى الارتياض بالاخلاق، والتعمل لاعتيادها.

وقد ذكرنا فيما تقدم ان سبب اختلاف الاخلاق في الناس، هو اختلاف قوى النفس الثلاث فيهم، وهي الشهوانية والغضبية والناطقة.

(١) في الاصل وهذه هي الرئاسة (٢) في الاصل اجتياد

وان صلاح الاخلاق ، هو تذليل الشهوانية منها والغضبية ، وتمييز عادات النفس الناطقة ، واستعمال المحدود من افعالها ، وطريق التدرج لاستعمال العادات الجميلة ، والعدول عن العادات المستقبحة هو التدرج في تذليل هاتين القوتين .

اما النفس الشهوانية فالطريق الى قمعها ان يتذكر الانسان في اوقات شهواته ، وعند شدة القرم الى لذاته ، انه يريد تذليل نفسه الشهوانية ، فيعدل عما تاقت نفسه اليه من الشهوة الرديئة ، الى ما هو مستحسن من جنس تلك الشهوة ، ومتفق على ارتضائه فيقتصر عليه ، فان بذلك الفعل تنكسر شهواته ، ثم يعللها و يعدها ، فإن سكنت والا عاود الفعل من الوجه المستحسن ، فانه اذا فعل ذلك وكرّر فعله كفّت النفس . واذا استمرت على هذه الحال ألفت النفس هذه العادة ، وأنست بها ، واستوحشت مما سواها .

وينبغي لمن اراد قمع نفسه الشهوانية ان يكثر من مجالسة الزهاد والرهبان والنساك ، واهل الورع والواعظين ، و يلازم مجالس الرؤساء واهل العلم فان الرؤساء (واهل العلم) ، وخاصة رؤساء الدين ، يعظمون من كان معروفاً بالعفة ، و يستزرون من كان فاجراً متهتكاً .

وملازمته لهذه المجالس تضطره الى التصون والتعفف والتجمل لاولئك لئلا يستزروه ، و يغضوا منه ، ويلحق برتبة من يعظم في المحافل .

وينبغي له ايضاً ان يديم النظر في كتب الاخلاق والسياسة ، واخبار

الزهاد (١) والنساك ، واهل الورع ، ويجب عليه ان يتجنب مجالس الخلعاء والسفهاء والمتهتكين ومن يكثر الهزل واللعب

واكثر ما يجب عليه تجنبه السكر . فان السكر من الشراب يثير نفسه الشهوانية ويقويها ، ويحملها على التهتك ، وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها .

وذلك ان الانسان انما يرتدع عن القبائح بالعقل والتمييز ، فاذا سكر عدم ذلك الذي كان يردعه عن الفعل القبيح ، فلا يبالي أن يرتكب كل ما كان يتجنب في صحوه

فاولى الاشياء بمن طلب العفة ، هجر الشراب بالجملة (٢) ويتجنب مجالس الجاهرين بالشراب والسكر والخلاعة . ولا يظنّ انه إن حضر تلك المجالس واقتصر على اليسير من الشراب لم يستضرّ به . فان هذا غلط وذلك ان من يحضر مجالس الشراب ليس تنقاد له نفسه الى القناعة بيسير الشراب ، بل إن حضر مجالس الشرب ، وكان في غاية العفة تاركاً للشرب متمسكاً بالورع ، حملته شهوته على التشبه باهل المجلس ، وتاقت نفسه الى التهتك (٣) وما اكثر من فعل ذلك ، وتهتك بعد الستر والصيانة .

(١) في اكثر النسخ الزهاد والرهبان والنساك (٢) وفي نسخة ابن عربي بعد الجملة : وان لم يمكنه ان يقتصر فليقتصر على اليسير منه ويكون في الخلوات او مع من لا يحتشمه . (٣) في الاصل الفتك وفي نسخة ابن عربي تاقت نفسه الى الفعل وما هو اكثر من ذلك وتهتك بعد الستر والصيانة

فشر(١) الاحوال لمن طلب العفة ، حضور مجالس الشراب ، ومخالطة اهلها ، والاستكثار من معاشرتهم .

وينبغي لمن اراد قمع نفسه الشهوانية ان يقل من استماع السماع ، وخاصة النسوان والشابات منهن المتصنعات فان للسماع قوة عظيمة في إثارة الشهوة ، فإذا انضاف الى ذلك ان تكون المسمعة مشتهاة متعملة لاستمالة العيون اليها ، اجتمع على السامع حوادث كثيرة ، فربما لم يستطع دفع جميعها عن نفسه

والاولى لمن همّ بقهر الشهوة ان يتجنب السماع ، وان لم يكن منه بدّ ولم تستجب نفسه الى هجره بالكلية ، فليقتصر على استماعه من الرجال ، ومن لا مطمع للشهوة فيه . والاقلال منه خير وأصون للمتعفّف .

فاما الطعام فينبغي ان يعلم ان غايته هو الشبع لدفع ألم الجوع وفاخر الطعام ودنيئه جميعاً مشبعان . فليس للمبالغة في تجويد الطعام كبير حظ . والأولى هو التوسط في انواع المآكل ، وان يكون من الجنس الذي نشأ عليه الانسان واعتاده وألفه .

على ان شهوة الطعام والنّهم فيه ، وان كان من الاخلاق الرديئة فهو أسهلها واهونها ، وليس يكسب صاحبها من العار ، ما يكسبه محبة الشراب والمباضعة ، ومعاشرة النسوان ، ومصاحبة الاحداث المتهيئين للفواحش ، فان ذلك في غاية القبح ، وشهوة المآكل اقل قبحاً منه ، وأخف

(١) في نسخة ابن عربي : فشيمة احوال من طلب العفة عدم حضور مجالس الشراب ومخالطة اهلها الخ

على فاعله . وهو مع ذلك قبيح والاستهتار به وكثرة النهم والشره اليه مكروه ، وطريق التدرج الى الاقتصاد في الطعام ، هو ان يبادر ذو الشهوة الى اي شيء وجده من المآكل فإن كان المشتهى الذي تاقت نفسه اليه حلواً ، فالى اي حلاوة وجدها ، وان كان غير ذلك فالى ما شابهه في الطعم فانه اذا تناول من الطعام ما يشبه ذلك المشتهى في الطعم ، فان شهوته تسكن ونفسه تكف .

وينبغي لمن احب العفة ان يكون ابداً متيقظاً ذاكراً لما يلحق الفاجر والنهم والشره والمتهتك من القباحة والعار (١) ، ويجعل ذلك ديدنه وشعاره ، فان نفسه تبغض الشهوات (الرديئة) ، وتشتاق الى التعفف والقناعة ، وتطرب عند العدول عن الفواحش مع القدرة عليها ، وترتاح لما ينشر عنها ، وبلغها عن الناس من الثناء الجميل على صاحبها

فهذا الذي ذكرنا هو طريق الى رياضة النفس الشهوانية وتذليلها وقمعها ، وهو طريق الارتياض بالعادات المحمودة المرضية ، فيما يتعلق بالشهوات واللذات

فاما النفس الغضبية فان طريق قمعها وتذليلها هو ان يصرف الانسان همته الى تفقد السفهاء الذين يسرع اليهم الغضب في اوقات طيشهم وحدتهم ، وتسفههم على خصومهم ، وعقوبتهم لخادمهم وعبيدهم ، فانه

(١) في النسخة البطريركية والعار في الدنيا وشدة العذاب في دار الآخرة ويجعل ذلك ديدنه وشعاره ويداوم على فكر ذلك فان نفسه الخ

يشاهد منهم منظراً شنيعاً يأنف منه الخاصيّ والعاميّ . وان يتذكر ما شاهد منهم في أوقات غضبه وعند جنايات خدمه وعبيده ، وعند ذنوب إخوانه وأودائه ، في جميع محاوراته ومعاملاته ، فانه اذا تذكر ما كان استقبحه من السفهاء ، انكسرتْ بذلك سورة غضبه ، وأحجم عما يهم بالإقدام عليه من السبّ والوثوب ، وان لم يكف بالكلية قصر ، ولم ينتهِ الى غاية الفحش .

وينبغي لمن اراد ان يقهر نفسه الغضبية ان يذكر في اوقات غضبه على من يؤذيه ، او يجني عليه ، انه لو كان هو الجاني ، ما الذي كان يستحق ان يقابل على جنايته؟ فانه بهذا الفعل يعتقد ان دركَ تلك الجناية ، او أرش ذلك الأذى ، يسيرٌ جداً ، فاذا اعتقد ذلك كانت مقابلته للجاني والمؤذي بحسب اعتقاده ، فلا يسرف في الانتقام ، ولا يفحش في الغضب . فإذا فعل ذلك دائماً وجعله ديدناً ، وتفقد معايب السفهاء ، ومن يسرع اليه الغضب ، لم يبعُد أن تنكسر نفسه الغضبية ، وتنقاد له ، فاذا استمر على ذلك مدةً صار خلقاً وعادة .

وينبغي لمن رغب في تذليل نفسه الغضبية ان يجتنب حمل السلاح (في مجالس الشراب) وحضور مواضع الحروب ومقامات الفتن و(يجتنب) مجالسة الاشرار ومعاشرة السفهاء ومخالطة الشرط فان هذه المواضع تكسب القلب قساوة وغلظة وتعدمه الرأفة والرحمة فتقسو لذلك نفسه الغضبية فاذا كان يريد تذليلها وتسكينها وجب ان يجعل مجالسته لاهل العلم وذوي الوقار

والشيوخ والرؤساء والافاضل ومن يقل غضبه ويكثر حلمه ووقاره

وينبغي له ايضًا ان يتجنب المسكر من الشراب ، فان السكر يهيج النفس الغضبية ، اكثر مما السكر يهيج الشهوانية ، ولذلك ربما يسرع الى العربدة ، والوثوب على جلسائه والاستخفاف بهم وسبهم وذكر اعراضهم (بالقبيح) بعد ان كان يتحنن عليهم ويتردد اليهم ولا يكون بين الوقتين الا بمقدار ما يستحكم به السكر .

فالسكر مثير القوة الغضبية ومقوٍّ لها فمن اراد ان يسكن نفسه الغضبية فلا بدَّ من ان يتجنب السكر وان تمكن من هجر الشراب البتة فهو اصلح لقهر النفس الغضبية والشهوانية جميعاً

وينبغي لمن اراد تذليل قوتيه الغضبية والشهوانية ان يستعمل في جميع ما يفعله الفكر ولا يقدم على شيء الا بعد ان يروّي فيه ويجعل الفكرة واتباع الرأي ديدنًا وعادة فان الرأي وجودة الفكرة يقبحان له السفه وسرعة الغضب والانهماك في الشهوات واتباع اللذات فاذا استقبح ذلك انحجم عنه وعدل الى ما يقتضيه الرأي والفكر فان لم يرتدع بالكلية فلا بد ان يؤثر ذلك فيه فيقتصر عما يريد التسرع اليه

وملاك الامر في تهذيب الاخلاق وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية هي النفس الناطقة فان بهذه النفس تكون جميع السياسات . وهذه النفس اذا كانت قوية متمكنة من صاحبها أمكنه ان يسوس بها قوتيه الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح ويتبع ابداً محاسن الاخلاق واذا

لم تكن هذه النفس قوية في صاحبها فكانت مغمورة خافية فاول ما ينبغي ان يعتمده في سياسة اخلاقه ان يروض هذه النفس ويقويها

وتقوية هذه النفس انما تكون بالعلوم العقلية فانه اذا نظر في العلوم العقلية ودقق النظر فيها ودرس كتب الاخلاق والسياسة وداوم عليها تيقظت نفسه وتنبهت من شهوتها وانتعشت من خمولها واحست بفضائلها وأنفت من رذائلها وذلك ان هذه انما تضعف وتخفت اذا عدمت الفضائل والمناقب واستولت عليها الرذائل فاذا اقتنت الفضائل واكتسبت الآداب تيقظت من غشيتها وثارت من سكرها وقويت بعد ضعفها ·

وفضائل هذه النفس هي العلوم العقلية وخاصةً ما دقّ منها فاذا ارتاض الانسان بالعلوم العقلية شرفت نفسه وعظمت همته وقوي فكره وتمكن من نفسه وملك اخلاقه وقدر على اصلاحها وانقاد له طبعه وسهل عليه تهذيبه وأذعنت له القوى الغضبية والشهوانية وهان عليه قمعها وتذليلها

فاول ما ينبغي ان يبدأ به من يحب سياسة اخلاقه النظر في كتب الاخلاق والسياسات ثم الارتياض بعلوم الحقائق فان اشرف ما تكون النفس اذا ادركت حقائق الامور واشرفت على هيآت الموجودات واذا شرفت نفس الانسان وعلت همته ترقى الى مراتب اهل الفضل ·

ومما يصلح النفس الناطقة ويقويها ايضاً مجالسة اهل العلم ومخالطتهم والاقتداء باخلاقهم وعاداتهم وخاصة اصحاب علوم الحقائق والمتيقظون منهم المستعملون في جميع امورهم ما تقتضيه علومهم وتوجبه عقولهم

فاما تمييز عادات النفس الناطقة واستعمال ما حسن فيها واطراح ما قبُح فذلك انما يمكن و يسهل ايضاً اذا راض نفسه الناطقة · فان النفس الناطقة اذا ارتاضت بالعلوم الحقيقية وتيقظت وتشرفت أنفت من العادات المستقبحة وتنزهت عن التدنس بها فيهون حينئذ على صاحبها تجنب ما يكره من عاداتها و يغلب عليه استحسان الاخلاق الجميلة والتخلق بها

وقد تبين من جميع ما ذكرنا ان طريق الارتياض بالاخلاق المحمودة والتصنع لاعتيادها واتباع المحمود المرضي منها واجتناب المذموم والمستقبح وتذليل قوة الشهوة الغضبية وضبطها وقهرها هو اصلاح النفس الناطقة وتقويتها وتحليتها بالفضائل والآداب والمحاسن فان ذلك هو آلة السياسة ومركب الرياضة ·

ومن لم يتمكن من اكتساب العلوم العقلية والامعان فيها او تعذَّر عليه ذلك فليبذل جهده في تدقيق الفكر ومجاهدة النفس وتمثيل ما بين عادته القبيحة والجميلة و ينظر أَيها اجدى عليهِ وايها انفع له وايها احمد عاقبة وابقى على الايام ·

فانه اذا صدق نفسه وجد شهواته ولذاته انما هي ملذة وقت استعمالها فقط فاما بعد مفارقتها فليست باقية عليهِ ولا نافعة له ويجد عارها وشَينْها باقياً على الدهر متداولاً بين الناس يعاب بهِ ويُزرى عليهِ بقبحهِ وكذلك شدة الغضب والتسرع الى الانتقام والسب والفحش فانه اذا انجلت غَمْرته وسكنت سَوْرته تأمل امره ورأى ما فعله وجده قبيحاً ولم يجده مُجدياً

ولا مفيداً وقد صار ما فعله عند الغضب نقيصة يوسم بها ومعرّة يسبّ بها وربما ارتكب في الغضب جنايات يعاقب عليها ويؤدّب من اجلها

وكذلك العادات المكروهه من عادات النفس الناطقة ايضاً تجدها غير نافعة ولا مجدية وذلك ان الحسد والحقد والخبث وامثال هذه لا ينتفع بها صاحبها وان انتفع بالخبث والشر فشرّ منفعة ومع ذلك هو ضارٌّ له . فان من تشرر قصده الناس بالشر واستعدّوا لأذيته وتعملوا للاضرار بهِ وتوقّوه واحترزوا منه وكرهوا نفعه وقصروا عليهِ وجوه الخير واجتهدوا في ذلك وما اسوأ حالَ من هذه صفته .

فستعمل الشر والخبث سيّء الحال يضره من شره اكثر مما ينفعه فاذا حاسب الانسان نفسه واجاد فكره وتمييزه علم ان الضرر في مساوىء الاخلاق اكثر من النفع وان الذي يعدّه منها نفعاً فليس هو بنفع على الحقيقة . هو يسير جداً غير باقٍ ولا مستمر فان هذا اليسير الذي يعده نفعاً لا يفي بالضرر الكثير والعار الدائم المتصل .

ويعلم ايضاً ان الشر والخبث يجلبان عليهِ الشر ويوحشان منه الناس فاذا دام ذلك واكثر منه قوي في نفسهِ اتباع محاسن الاخلاق وسهل عليهِ اطراح مساوئها ومقابحها وغلب عليه الخير والسداد وفزع من العيب والعار . فاذا فعل ذلك دائماً لم يلبث ان يصلح اخلاقه ويحسن طريقته ويهذب شمائله ويلحق برتبة اهل الفضل ويتميز عن اهل الدنس والنقص .

وينبغي لمن اراد سياسة اخلاقه ان يجعل غرضه من كل فضيلة غايتها

ونهايتها ولا يقنع منها بما دون الغاية ولا يرضى الا بأعلى درجة فانه اذا جعل ذلك غرضه كان حرياً ان يتوسط في الفضائل ويبلغ منها رتبة مرضية وان فاتتهُ الدرجة العالية

فأما ان قنع بالتوسط لم يأمن ان يقصر عن بلوغهِ فيبقى في أدون المراتب ويفوته المطلوب ولا يطمع ابداً في التمام ·

فهذا الذي ذكرنا هو طريق الارتياض بمكارم الاخلاق ومنهج التدرج في محمود العادات فاذا أخذ الانسان نفسهُ بهِ واكثر براعاتهِ (١) وتعهده صار له من الفضائل ديدناً والمحاسن له خلقاً وطبعاً ·

وقد بقي علينا ان نذكر اوصاف الانسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق وطريقته التي يصل بها الى التمام فنقول :

الانسان التام هو الذي لم تفته فضيلة ولم تشنه رذيلة وهذا الحد قل ما ينتهي اليهِ انسان فاذا انتهى الانسان الى هذا الحد كان بالملائكة اشبه منه بالناس · فان الانسان مضروب بانواع النقص مستولىً عليهِ وعلى طبعهِ ضروب الشر فقلّ ما يخلص من جميعها حتى يسلم نفسه من كل عيب ومنقصة ويحيط بكل فضيلة ومنقبة ·

الا ان التمام وان كان عزيزاً بعيد التناول فانه ممكن وهو غاية ما ينتهي اليهِ الانسان ونهاية ما هو منتهى له واذا صدقت عزيمة الانسان

(١) كذا في الاصل ولعله (اكثر مراعاته او اكثر الارتياض بمراعاته)

واعطى الاجتهاد حقه كان قمينًا بان ينتهي الى غايته التي هو متهيئ لها ويصل الى بغيته التي تسمو نفسه اليها ·

فاما تفصيل اوصاف الانسان التام فهو ان يكون متفقداً لجميع اخلاقه متيقظاً لجميع معايبه متحرزاً من دخول نقص عليه مستعملاً لكل فضيلة ومجتهداً في بلوغ الغاية عاشقاً لصورة الكمال مستلذاً لمحاسن الاخلاق متيقظاً في الاصل متبغضاً لمذموم العادات معنياً بتهذيب نفسه غير مستكثر لما يقتنيه من الفضائل مستعظماً اليسير من الرذائل مستصغراً للرتبة العليا مستحقراً للغاية القصوى يرى التمام دون محله والكمال اقل اوصافه ·

فاما الطريقة التي توصله الى التمام وتحفظ عليه الكمال فهي ان يصرف غايته الى النظر في العلوم الحقيقية ويجعل غرضه الاحاطة بماهيات الامور الموجودة وكشف عللها واسبابها وتفقد غاياتها ونهاياتها ولا يقف عند غاية من علمه الا ورنا بطرفه الى ما فوق تلك الغاية ويجعل شعاره ليله ونهاره قراءة كتب الاخلاق وتصفح كتب السير والسياسات واخذ نفسه باستعمال ما أُمر اهل الفضل باستعماله واشار المتقدمون من الحكماء باعتياده ويشدو ايضاً طرفاً من ادب اللسان والبلاغة ويتحلى بشيء من الفصاحة والخطابة ويغشى ابداً مجالس اهل العلم والحكمة ويعاشر دائماً اهل الوقار والعفة

هذا ان كان رعية وسوقة فان كان ملكاً او رئيساً فينبغي ان يجعل جلساءه ومنادميه وغاشيته والمطيفين به كل من كان معروفاً بالسرو (١)

(١) في الاصل بالسر · والسرو المروءة والشرف

والسداد موصوفاً بالأدب والوقار مخصصاً بالعلم والحكمة متحققاً بالفهم والفطنة و يقرّب مجالس اهل العلم و يبسطهم و يكثر مجالستهم والانس بهم و يجعل تفرجه وتفكهه مذاكرتهم في العلم وفنونه وسياسة الملك ورسومه واخبار الحكماء واخلاقهم وسير الملوك الاخيار وعاداتهم ·

وينبغي للانسان التام ولمن طلب التمام ايضاً ان يجعل لشهواته ولذاته قانوناً راتباً يقصد فيه الاعتدال و يجتنب السرف والافراط ويعتمد من الشهوات واللذات المعتدلة ما كان من الوجوه المرتضاة المستحسنة و يأخذ نفسه بذلك و يحظر عليها الطمع في لذة مكروهة او شهوة مسرفة و يهجر اصحاب اللذات ومعاشرتهم و ينقبض عن الخُلعاء ومخالطتهم و يُشعر نفسه ان الشهوة عدو مكاشح وخصم مكافح يريد ابداً ضرره وأذيته ويعتمد شينه وفضيحته فيناصب شهوته بالعداوة و يكاشفها بالمعاندة ويقمع ابداً سورتها و يكسر ابداً حدّتها و يقهر دائماً سطوتها و يذلّل على التدريج عزها و يسكّن على الترتيب فورها فانه اذا فعل ذلك كان خليقاً ان يملك نفسه وتنقاد له شهوته و ينطبع بالعفة و يألف حسن السيرة

ومتى ارخى لشهوته عنانها وسمح لها في مرادها واهمل سياستها ومراعاتها استطالت وشمخت ولم تلبث ان تَوهن صاحبها وتقوده وتحمله على ما يسوءه ويغره فيصير بذلك بعيداً من التمام غير طامع في الكمال ·

وينبغي لمن يطلب التمام ان يعلم انه لا سبيل له الى بلوغ غرضه ما دامت اللذة عنده مستحسنة والشهوة مستحبة وهذه الحال صعبة جداً متعسرة على

طالبها بعيدة المأخذ وهي على الملوك والرؤساء أصعب وابعد لان الملوك والرؤساء اقدر على اللذات واشد على تمكن الشهوات

واللذات لديهم معرّضة ولهم سجية وعادة فمفارقتها عليهم متعذرة وإعراضهم عنها كالشيء الممتنع خاصة لمن قد نشأ على الانهماك فيها والتوفر عليها الا ان الملوك وان كانوا اقدر على اللذات واكثر اعتياداً لها فهم اعظم همماً واعز نفوساً والمحصل منهم اذا سمت نفسه الى التمام الانساني واشتاقت الى الرئاسة الحقيقية علم ان الملك احق ان يكون اتمّ اهل زمانه وافضل من اعوانه ورعيته فيهون عليه مفارقة الشهوات الرديئة وهجر اللذات الدنيئة ٠

وينبغي لمن رغب في سياسة اخلاقه وسلك طريق الاعتدال في شهواته ان يجعل له قانوناً يقتصر عليه في المآكل والمشارب معروفاً بالكرم وهو ان لا يستبد (١) بالمأكل والمشرب وحده بل يقصد ان يشرك في مأكله من ذلك اخوانه واوداءه ان رعية او سوقة وان كان ملكاً او رئيساً فيجمع عليه غاشيته وندماءه ويعم به اصحابه واعوانه ويتفقد بفضلاته اهل الفقر والمسكنة وخاصة من سبقت له معرفة او تقدمت له حرمة ويصرف الى ذلك حظاً من عنايته فان اعتداد هؤلاء بما يصل اليهم مدبره اكثر من اعتداد حاشيته واصحابه وليظهر لمن يجتمع على مائدته وعلى طعامه وشرابه من اخوانه واصدقائه ورعيته وندمائه — ان كان ملكاً او رئيساً — أن جمعه

(١) في الاصل يستبدا ،

لهم للانس بهم والسرور بمعاشرتهم لا ليكرمهم بطعامه وشرابه ولا ان لذلك قدراً يعتدُّ به وليحترز كل الاحتراز من ان يبدو منه امتنان بالطعام والشراب اوتبجُّح (١) به فان ذلك يزري بفاعله و يغض منه و يوحش من يغشاه و يقطعهم عنه

وقد يستحسن من الانسان ايضاً اذا كان مقلاًّ ان يؤاسي بطعامه اخوانه وان كان محتاجاً اليه ويستحسن منه ايضاً ان يؤاسي به الفقراء والضعفاء وقد يستحسن ايضاً اكثر من ذلك ان يؤثر الانسان بطعامه وشرابه غيره وان كان شديد الاضطرار اليه وكان لا يقدر على غيره ·

وينبغي لمن طلب السياسة التامة ان يستهين بالمال و يحتقره و ينظر اليه بالعين التي يستحقها فان المال انما يراد لغيره وليس هو مطلوباً لذاته فانه في نفسه غير نافع وانما الانتفاع بالاغراض (٢) التي تنال به فالمال آلة تنال بها الاغراض فلا يجب ان يعتقد ان اقتناءه وادخاره مفيد فانه اذا ادخر وحرس لم ينل صاحبه شيئاً من الاعراض التي هو بالحقيقة محتاج اليها فالمال مطلوب لغيره

فينبغي للسديد الرأي العالي الهمة ان يزنه بوزنه فيكسبه من وجهه و يفرقه في وجوهه و يكون مع ذلك غير متوانٍ في اكتسابه ولا مقترٍ (٣) في طلبه لان عدم المال يضطره الى التواضع لمن هو دونه اذا وجد عنده حاجته ووجود المال يغنيه عمن هو فوقه وان دنت منزلته و يكون ايضاً

(١) في الاصل او يبيح به (٢) في الاصل الاعراض (٣) لعله مقصر

غير مدّخر ولا متمسك به و يقصد الاعتدال في تفريقه و يحذر من السرف والتبذير في تخريجه ولا يمنع حقاً يجب عليه ولا يصرفه في شيء لا يجب ولا يشكر عليه واذا فرغ من حاجاته واستكفى من نفقاته وسد جميع خلله عاد الى النظر في امره فان كان بقي من ماله بقية فاضلة عن مهمّ اغراضه اخرج منها قسطاً فجعله عدة ليستظهر بها لشدة . و يعدها لنائبة . ثم عمد الى الباقي ففرقه في ذوي الحاجة من اهله واقاربه واخوانه واهل مودته وجعل فيه قسطاً للضعفاء والمساكين واهل الفاقة المستورين و يجعل اهتمامه بافضاله وبره اكثر من اهتمامه بضرورياته فان الضروريات تقوده كرهاً اليها . والبر والنوافل متى لم يهتم بها و يشعر نفسه التزامها لم يسهل عليه فعلها لان ضعف النفس وسوء الظن يصرفانه عنها وان لم يكن له جاذب من نفسه وداعٍ قوي من همته لم يقدم عليها وغلب عليه (١) التواني فاذا توانى عن البر والتفضل كان شحيحاً ضنيناً بخيلاً دنيّاً وليس بتام بل ليس بالحقيقة انساناً من لم يكن له برّ يُعرف ولم تُنشر عنه افعال توصف هذا ان كان من اوساط الناس .

(١) في الاصل عليها

فاما الملوك والرؤساء فانهم احق بهذه السياسة ، ويجب ان يكونوا بذلك اشد عناية ، فيجبوا الاموال من حقها وواجباتها (١) ، ويصرفوا منها في نفقاتهم ومؤوناتهم ، وارزاق جندهم واصحابهم ، قدر الكفاية من غير سرف ولا تقتير ، ويعدوا منه شطراً لخوف عاقبة ، ويصرفوا (٢) الباقي في طرق الكرم والجود ، ووجوه الخير والبر ، فيعطوا اهل العلم على طبقاتهم ويجعلوا لهم رواتب من خواص اموالهم ، ويدفعوا لمن هو مثابر على العلم والادب ، ويبروا الضعفاء والمساكين ، ويتفقدوا الغرباء (والمنقطعين) ، ويهتموا بالزهاد واهل النسك ، ويخصوهم بقسط من إفضالهم وانعامهم ، ويعنوا بالصغير والكبير من رعيتهم ، وينفقوا في مصالحهم شطراً من اموالهم . فان الملوك اولى بالكرم من الرعية وأحق بالجود من العامة

وقد يستحسن ايضاً من المقلين والمقترين ، المؤاساة بالمال والايثار به ، وان كانوا محتاجين اليه وكلما كانت حاجاتهم اشد كان ذلك الفعل احسن (٣) .

وهذه الحال تستحسن اذا رأى الرجل اخاً من اخوانه ، او صديقاً من اصدقائه (يختص بهِ) قد دعته الحاجة الى ما لا يقدر عليه لاصلاح شيء من شأنه ، او لدفع محنة نزلت به ، وكان هو قادراً على ذلك القدر من المال ، فيبتدئ (حينئذ) باسعافه عفواً من غير مسألة وان فعل هذا الفعل مع الغريب الذي لا يعرفه ، ولم تسبق له حرمة ولا مودة ، كان جميلاً مستحسناً .

(١) في نسخة : ووجهها (٢) في الاصل : ويصرف (٣) في نسخة : الفعل حسناً منهم

وينبغي لمحب الكمال ان يشعر نفسه ان الغضبان بمنزلة البهائم والسباع، يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية. فاذا جرى بينه وبين غيره محاورة أدت الى ان يغضب خصمه، ويسفهه عليه، اعتقد فيه انه في تلك الحال بمنزلة البهائم والسباع، فيمسك عن مقابلته، ويحجم عن الاقتصاص منه، الا يعلم ان الكلب لو نبح عليه لم يكن يستجيز مقابلته على نبحه، وكذلك البهيمة لو رمحته لم تستحسن عقوبتها، لانها غير عالمة بما تصنعه، الا ان يكون جاهلاً سفيهاً فان من السفهاء من يغضب على البهيمة اذا رمحته، ويوجعها ضرباً اذا آذته، وربما عثر السفيه فشتم موضع عثرته ورفسها برجله.

فاما الحليم الوقور فلا يستحسن شيئاً من ذلك، واذا استشعر من خصمه انه بمنزلة البهائم (حال الغضب) صار هذا الاستشعار منه طريقاً الى ضبط النفس الغضبية وزمّها، فان آذاه موءذٍ بغير سفه، فيوءدي ذلك الاذى الى حال تغضبه، أنف ايضاً من الغضب مع استشعاره ان الغضبان والبهيمة سواء، فيعدل حينئذٍ الى مقابلة موءذيه بما يقتضيه الرأي (السليم) من حيث لا يظهر فيه غضب ولا سفه.

وينبغي لمحب الكمال ايضاً ان يعود نفسه محبة الناس اجمع، والتودد اليهم والتحنن عليهم، والرأفة والرحمة لهم، فان الناس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الانسانية وحلية (١) القوة الالهية هي في جميعهم وفي كل واحد

---

(١) في الاصل تحلية

منهم وهي النفس العاقلة . وبهذه النفس صار الانسان انسانًا ، وهي اشرف جزئي الانسان اللذين هما النفس والجسد ، فالانسان بالحقيقة هو النفس العاقلة ، وهي جوهر واحد في جميع الناس ، والناس كلهم بالحقيقة شيء واحد ، وبالاشخاص كثيرون

واذا كانت نفوسهم واحدة ، والمودة انما تكون بالنفس ، فواجب ان يكونوا كلهم متحابين متوادين ، وذلك في الناس طبيعة ، لو لم تقدهم النفس الغضبية فان هذه النفس تحبب لصاحبها الترؤس فتقوده الى الكبر والاعجاب ، والتسلط على المستضعف ، واستصغار الفقير ، وحسد الغني ، وبغض ذوي الفضل ، فتتسبَّب(١) من اجل هذه الاسباب العداوات ، وتتأكد البغضاء بينهم

فاذا ضبط الانسان نفسه الغضبية ، وانقاد لنفسه العاقلة ، صار الناس كلهم له اخوانًا واحبابًا ، واذا أعمل الانسان فكره رأى ان ذلك واجب لان الناس اما ان يكونوا فضلاء او نقصاء ، فالفضلاء يجب عليه محبتهم لموضع فضلهم ، والنقصاء يجب عليه رحمتهم لاجل نقصهم

فيحق (٢) لمحب الكمال ان يكون محبًا لجميع الناس ، متحننًا عليهم ، رؤوفًا بهم ، وخاصة الملك والرئيس ، فان الملك ليس يكون ملكًا ما لم يكن محبًا لرعيته رؤوفًا بهم . وذلك ان الملك ورعيته بمنزلة رب الدار واهل داره ، وما اقبح برب الدار ان يبغض اهل داره ، ولا يتحنن عليهم ، ولا يحب مصالحهم .

(١) في نسخة : فتنشأ (٢) في نسخة : فيحق يجب لمحب الكمال

وينبغي لمحب الكمال ان يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس وانفاق ما يفضل من ماله فيما يبقي له الذكر الجميل بعد موته ، ويتحرز من فعل الشر فانه اذا حاسب نفسه ، علم ان من يفعل الشر انما يفعله لخير يعتقد انه يصل اليه بذلك الشر وربما كان غلطاً وربما كان مصيباً . واذا علم ان الامر على هذه الصفة ، كان واجباً ان يطلب الخير الذي يرومه من طريق غير طريق التشرر (١) ، اذا كان هو الغرض المطلوب لا فعل الشر

فاما ان كان تشرره لشفاء غيظ يلحقه ، فليعلم انه اذا سكن غيظه وجد ذلك المقصود بالشر غير مستحق لذلك الفعل ، ففعل الشر قبيح ، وخاصة بمن قد جمع (٢) الفضائل ، الا ان يكون ذلك الشر تأديباً على جرم ، أو اقتصاصاً من جان، فان هذه الحال مستحبة محمودة ، بل لا تعد شراً لان ذلك الشر انما يصل الى الجاني فقط ، ويكون منه نفع عام لجميع الناس بان يرتدع به امثاله من الجناة ، فتكون المنفعة فيه اكثر ، فمن اجل ذلك لا يعد شريراً (٣)

واذا اعتمد الانسان فعل الخير وألفه ، وتجنب الشر واستوحش منه ، أنف من الاخلاق المكروهة التي تعد شراً ، كالحسد ، والحقد ، والخبث ، والخديعة ، والنميمة ، والغيبة ، والوقيعة ، وامثال هذه العادات . واذا فكر العاقل المحصل فيها ، علم انها غير مجدية عليه نفعاً ، وهي مع ذلك تشينه وتقبح سيرته ، واذا كان محباً للتمام ، مستشرفاً للكمال ، كان واجباً عليه

(١) تشرر، تكلف الشر (٢) خ : جمع بين الفضائل والعلم (٣) خ : شراً

تجنب هذه الاخلاق (المذمومة)

وينبغي لمحب الكمال ان يعتقد انه ليس شيء من العيوب والقبائح خافياً عن الناس ، وان اجتهد صاحبها في سترها ، فلا تطمع نفسه في ارتكاب فعل قبيح يظن انه ينكتم عن الناس حتى لا يقف عليه احد

ويجب ان يعلم ان الناس بالطبع موكاون بتتبع عيوب الناس وتعييرهم بها ، وذلك في الناس غريزة ، والسبب فيه ان الانسان ما لم يبلغ التمام ، فليس يخلو من تقصير يعاب به ، ويسوءه ان يكون غيره افضل منه ، فهو يسر ان تكون الناس كلهم نقصاء ليساووه في النقص فهو ابداً يتبع معايب الناس ويعيرهم بها ليرى الناس انه افضل ممن فيه ذلك العيب ، ويشعر نفسه ايضاً ذلك لتطيب بما فيها من العيب ، فليس شيء من العيوب يخاف عن الناس وان اعتمد ستره .

وقد يظن كثير من الملوك والرؤساء ان عيوبهم مستورة عن الناس غير بادية ، وذلك لموضع هيبتهم ، وعظم سطوتهم ، ويستشعرون ان حاشيتهم وخواصهم لا يجسرون على اظهار اسرارهم ، ان وقفوا على شيء منها . وهذا نهاية الغلط لان خواص الملك وحاشيته كما انهم عنده ثقات امناء ، كذلك لكل واحد منهم خاص وثقة يخرج اليه باسراره ، والذي لا يستر اسرار نفسه فمحال ان يستر عنه اسراره غيره .

وهذه الحال طريقة الى انتشار معايب الملوك الذين يظنون انها مستورة ، والعلة في ظنهم ان عيوبهم مستورة ، هو انهم لا يسمعون احداً

يذكرها ، ولا احداً يتنصح اليهم بها، فيظنون انها خفية. فاذا احب الانسان ان يعلم ان عيوبه غير خافية ، فليعد الى نفسه فينظر هل يعرف لاحد عيباً كان يستره ويخفيه ، فانه يجد للناس عنده عيوباً كثيرة قد اجتهدوا في سترها ، وحرصوا على صونها . ومنهم من يظن انها خفية . ومنهم من يعلم انها قد انتشرت بعد الستر فاذا علم انه عارف باسرار كثير من الناس كانت مستورة فالواجب ان يعتقد ان عيبه غير خاف ولا منكتم وان الناس يعرفون من عيوبه اكثر مما يعرف هو من عيوبهم .

فينبغي لمن احب الكمال ان يعتقد ان عيوبه ظاهرة وان اجتهد في اخفائها وليس بتام من عُرف له عيب ولا طريق الى التمام الا باجتناب العيوب بالكلية والتمسك بالفضائل في سائر الامور وهذه الرتبة غاية تمام الانسانية ونهاية الفضيلة البشرية وواجب على كل انسان الاجتهاد في بلوغها واستفراغ الوسع في الوصول اليها لان التمام مطلوب لذاته والنقص مكروه لعينه .

وأحق الناس بطلب هذه المرتبة وأولاهم بالتحمل (١) لبلوغ هذه المنزلة الملوك والرؤساء لان الملوك والرؤساء اشرف الناس واعظمهم قدراً وما اقبح بالشريف العظيم القدر ان يكون ناقصاً فالملوك اذاً ينبغي ان يكونوا اشد الناس حرصاً على بلوغ الكمال لان الكامل من الناس الجامع للفضائل متوثب (٢) بالطبع على الناقص من الناس فالانسان التام رئيس بالطبع

(١) خ التجمل (٢) خ : مترتب

(و) اذا كان الملك تاماً جامعاً لمحاسن الاخلاق محيطاً بجميع المناقب كان ملكاً بالطبع واذا كان ناقصاً كان ملكاً بالقهر وما أولى بالملك ان يرغب في الرئاسة الحقيقية لا بالتي تكون بالقهر وبالشرف الذاتي لا ما هو بالوضع . فالواجب ان يصرف الملك همته الى اكتساب الفضائل واقتناء المحاسن و يطلب الغاية من المكارم و يستصغر الكبير منها حتى يحوز جميعها ولا يرضى بالنهاية حتى يزيد عليها فانه ان رضي برتبة فوقها رتبة لم يصر ابداً الى التمام وان ابعد الناس من التمام من رضي لنفسه بالنقصان فاذا طلب الملك الكمال فاول ما يجب ان يعتاده عظم الهمة فان عظم الهمة تصغر (١) في عينه كل رذيلة وتحسن له كل فضيلة

واذا عظمت همة الملك سلم من الاعجاب بملكه ورأى نفسه وهمته اعظم قدرا من ان يستكثر ذلك الملك واذا احتقر الملك ملكه الذي به عزه وعظمته طلب لنفسه ما يعظمها بالحقيقة وليس تعظم النفس الا بالفضائل

ثم ينبغي له ان يكره الملق و يبغض المتملقين و ينهاهم عن تلقيه به

وملاك امره ان يتعرف عيوبه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها وهو ابداً في الملوك صعب لان الانسان بالطبع يخفى عليه كثير من عيوبه فالذي يخفى على الملوك اكثر لاعجابهم بمحاسنهم وعظم مرتبتهم

وايضاً فان الرعية والسوقة يبكتون بعيوبهم ويعيرون بها فهم يعرفونها والملوك لا يجسر احد على تبكيتهم ولا يقدم احد على نصحهم وتبكيتهم على

(١) خ : تشنع

عيوبهم لان الناس اجمع يقصدون التقرب الى الملوك وتملقهم فلا يقولون لهم الا ما يحبون لينالوا الحظوة عندهم · فعيوب الملوك ابداً خفية عنهم ·

وينبغي للملك اذا احب ان يتنزه من العيوب و يتطهر من دنسها ان يتقدم الى خواصه وثقاته ومن كان يسكن الى عقله وفطنته من خدمه وحاشيته فيأمرهم ان يتفقدوا عيوبه ونقائصه و يطلعوه عليها و يعلموه بها ·

وينبغي له ان يتلقى من يهدي اليه شيئاً من عيوبه بالبشر والقبول و يظهر له الفرح والسرور بما اطلعه عليه بل المستحسن منه ان يجيز الذي يوقفه على عيوبه اكثر مما يجيز المادح على المدح والثناء الجميل و يشكر من ينبهه على نقصه ويتحمل لومته بفعله فانه اذا لزم هذه الطريقة وعرف بها يسرع اصحابه وخواصّه الى تنبيهه على عيوبه واذا نبه على ما فيه من النقص أنف منه واستشعر ان اولئك سيعيرونه به و يصغرونه من اجله فيلزمه حينئذ ان يأخذ نفسه بالتنزه من العيوب و يقهرها على التخلص من دنسها ·

فاذا فعل ذلك وتوفر على اقتناء الفضائل والزم نفسه التخلق بالمحاسن ولم يرضَ من منقبة الا بغايتها ولم يقف عند فضيلة الا وطلب الزيادة عليها واجتهد فيما يحسن سياسة نفسه عاجلاً و يبقي له الذكر الجميل آجلا لم يلبث ان يبلغ الغاية من التمام و يرتقي الى النهاية من الكمال فيحوز السعادة الانسانية والرئاسة الحقيقية و يبقى له حسن الثناء مؤبداً وجميل الذكر مخلداً

فقد اتينا على صفة الانسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق والطريقة التي تؤديه الى هذه الرتبة وتحفظ عليه هذه المنزلة ·

وقدمنا ما ينبغي تقديمه من سياسة الاخلاق وتهذيب النفوس فما أولى من نظر في هذا القول وتصفحه وفهم مضمونه وتدبره ان يأخذ نفسه باستعمال ما بيّن من فصوله و يسوس اخلاقه بالتطرق الى الذي قنن في تضاعيفه (١) و يجتهد كل الاجتهاد في تكميل نفسه و يستفرغ غاية الوسع في طلب تمامه فما اقبح النقص بالقادر على التمام والعجز من المستعد لنيل الكمال ·

وهذا حين نختم القول في تهذيب الاخلاق (٢) والحمد لله حمد الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً (اهـ)

استدراك

على كتاب تهذيب الاخلاق للجاحظ

بعد طبع الجزء الاول من كتاب تهذيب الاخلاق لفت نظرنا صديقنا العلاّمة السيد غريغوريوس حداد بطريرك الروم الارثوذكس في دمشق الى رسالة في خزانته اسمها (تهذيب الاخلاق) منسوبة لابي زكريا يحيى بن عدي العالم اليعقوبي المشهور المتوفى سنة ٣٦٤ هـ وهي مطابقة لرسالة الجاحظ لفظاً ومعنىً الا انها بالشكل الكامل مغفلة من تاريخ النسخ ويظن ان نسخها كان في القرن الماضي · ثم ظهر لنا ان كتاب تهذيب الاخلاق طبع في القاهرة اربع مرات نسب في المرتين الاوليين الى الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ باسم كتاب الاخلاق طبعت

(١) خ : قنن في ابوابه (٢) في البطريركية : والحمد لواهب العقل دائماً ابداً امين

الطبعة الاولى منه سنة ١٩٠٧ م والثانيـة باسم فلسفة الاخلاق طبعت سنة ١٣٣٢ ﻫ وفي المرتين الأخرين نسبت الرسالة الى يحيى بن عدي الاولى باسم تهذيب الاخلاق طبعت سنة ١٨٧٢ م والثانية سنة ١٩١٣ وهذه الطبعات الاربع مع المخطوط لا يختلف احدها عن الآخر الا بقدر ما تختلف نسخة من كتاب واحد عن اختها لناسخ آخر .

وفي الخزانة التيمورية نسخة منها منسوبة ليحيى ايضاً وفي آخرها تدبير المنزل فهي طبق النسخة البطريركية المذكورة ولكنها قديمة الخط

وفي يقيننا بعد ان ظهر ما ظهر من امر الرسالة ان نسبتها الى الجاحظ او الى ابن عدي او ابن عربي لم تبرح موضع نظر وان كنا نرجح انها ليحيى بن عدي لبعض عبارات لا يقول مثلها الجاحظ شيخ المعتزلة ولا ابن عربي شيخ المتصوفة . فعسى ان يتفضل العلماء الذين لهم يد في هذا الشأن فيكتبوا الينا بملاحظاتهم في نسبة الرسالة الى ابي عذرها .

لا جرم ان من الكتب ما نسب الى مؤلفين هم براء مما فيها ومن القصائد ما ادعاه جملة من الشعراء . فليس بعجيب اذا نسبت رسالة الاخلاق على نمطها العالي في الادب الى بضعة من مشهوري البلغاء

على ان ما وقع من الخلاف في مؤلف كتاب الاخلاق لا يقدح في الكتاب نفسه بل ربما زاده رفعة وقد اغتبطت بما جرى وعارضت النسخة الاصلية على النسخ المطبوعة والمخطوطة واستدركت بعض هفوات وقعت في النسخة الجاحظية والكمال لله وحده

محمد كرد علي

ع الت ١٧٠

٢٥٢٩٩

تهذيب الاخلاق

DATE	No.	DATE	No.